سورة القلم

قال تعالى: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [القلم: ١٤]

القراءات: «أأن كان» قرأ ابن عامر وشعبة وخلف وورش بخلف عنه وحمزة وأبو جعفر ويعقوب وقرأ الباقون «أن كان».

التوجيه: قال الرازي: قرئ «أأن كان» على الاستفهام، والتقدير: ألأن كان ذا مال كذب، أو التقدير: أتطيعه لأن كان ذا مال. وقرئ «أن كان» ويجوز أن يكون متعلقًا بما قبله وأن يكون متعلقاً بما بعده.

أما الأول- فتقديره: ولا تطع كل حلاف مهين أن كان ذا مال وبنين أي لا تطعه مع هذه المثالب ليساره وأولاده وكثرتهم.

وأما الثاني- فتقديره لأجل «أن كان ذا مال وبنين إذا تُتلى عليه ءاياتنا قال أساطير الأولين». والمعنى لأجل «أن كان ذا مال وبنين» جعل مجازاة هذه النعم التي خولها الله له الكفر بآياته؛ قال أبو عليّ الفارسي العامل في قوله «أن كَانَ» إما أن يكون هو قوله «تُتلى» أو قوله «قال» أو شيئًا ثالثًا. والأول باطل لأنّ «تُتلى» قد أضيفت «إذا» إليه والمضاف لا يعمل فيما قبله ألا ترى أنك لا تقول القتال زيدٌ حين يأتي تريد حين يأتي زيدٌ.

ولا يجوز أن يعمل فيه أيضاً «قال» لأنّ «قال» جواب «إذا» وحكم الجواب أن يكون بعد ما هو جواب له ولا يتقدم عليه. ولما بطل هذان القسمان علمنا أن العامل فيه شيء ثالث دل ما في الكلام عليه وذلك هو يجحد أو يكفر أو يمسك عن قبول الحق أو نحو ذلك. وإنما جاز أن يعمل المعنى فيه وإن كان متقدمًا عليه لشبهه بالظرف والظرف قد تعمل فيه المعاني وإن تقدم عليها. ويدلك على مشابهته للظرف تقدير اللام معه فإنّ تقدير الآية: لأن كان ذا مال وإذا صار كالظرف لم يمتنع المعنى من أن يعمل فيه كما لم

يمتنع من أن يعمل في نحو قوله ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ:٧] لما كان ظرفًا والعامل فيه القسم الدال عليه قوله «أنكم لفي خلق جديد» فكذلك قوله «أن كان ذَا مال وبنين» تقديره: إنه جحد آياتنا لأن كان ذا مال وبنين أو كفر بآياتنا لأن كان ذا مال وبنين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ [القلم:٣٢]

القراءات: «أن يبدلنا» قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح الباء وتشديد الدال والباقون بإسكان الباء وتخفيف الدال.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ بتشديد الدال و بتخفيفها، وهما بمعنىً واحد. وقال في لسان العرب: قال المبرد: قد جعلت العرب بَدَّلت بمعنى أبدلت، وقال أبو العباس: التبديل «منه يبدِّلنا» تغيير الصورة إلى صورة أخرى والجوهرة (أي العين) بعينها (أي كما هي)، والإبدال (منه يبدلنا): تنحية الجوهرة واستئناف جوهرةٍ أخرى (أي تغيير العين). **قلتُ:** قد يشهد لقول المبرد قوله عز وجل: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، فقال «يبدِّل» مع أنّ الله يزيل السيئات ويجعل مكانها حسنات، وعلى قول أبي العباس تكون القراءتان تفيدان أنّهم رجوا من الله إمّا أن يغير حال جنتهم من خراب إلى عمران وعينها بحالها وهذه قراءة «يبدّلنا» بتشديد الدال، أو يرزقهم جنّةً أخرى في مكان آخر، وهي قراءة «يبدلنا» بتخفيف الدال.

قلتُ: ومثل هذا الكلام يقال في آية التحريم ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ [التحريم:٥]، فإمّا أن نقول «يبدّله» و«يبْدِله» بمعنى واحد أو نقول: المعنى على قراءة التشديد يفيد رزق الرسول ﷺ بزوجاتٍ أخريات مع بقاء زوجاته معه، والمعنى على قراءة التخفيف يُفيد أن يفارقهنّ ويتزوج غيرهنّ.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١]

القراءات: «ليزلقونك» قرأ نافع وأبو جعفر بفتح الياء والباقون بضم الياء.

التوجيه: قال الرازي: يزلقونك بضم الياء وفتحها، من زلقه وأزلقه بمعنى، ويقال: زلق الرأس وأزلقه حلق، ثمّ فيه وجوه:

(أ) أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء، يكادون يزلون قدمك، من قولهم نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني، أي:لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله.

(ب) حمله على الإصابة بالعين.